بسم الله الرحمن الرحیم

تصوف به زبان عربی

كتاب قوت القلوب، ابوطالب مكى

شرح مقام الصبر و وصف الصابرين

و هو الثاني من مقامات اليقين. قد جعل الله عزّ و جلّ الصابرين أئمة المتقين و تمّم كلمته الحسني عليهم في الدين فقال تعالى: «وَ جَعَلْناهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنا» (الأنبياء: ٧٣) لما صبروا. و قال تعالى: «وَ تَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنى عَلى بَنِي إِسْرائِيلَ بِما صَبَرُوا» (الأعراف: ١٣٧). و قال رسول الله صلّى الله عليه و سلم: «إن في الصبر على ما تكره خيرا كثيرا». و قال المسيح عليه السلام: «إنكم لا تدركون ما تحبون إلا بصبركم على ما تكرهون». و قال ابن مسعود: «الصبر نصف الإيمان». و قد جعل علي كرم الله وجهه الصبر ركنا من أركان الإيمان و قرنه بالجهاد و العدل و الإيقان فقال: «بني الإسلام على أربع دعائم، على اليقين، و الصبر، و الجهاد، و العدل». و قال عليّ كرم الله وجهه: «الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد لا جسد لمن لا رأس له و لا إيمان لمن لا صبر له». و رفع رسول الله: الصبر في العلو و الفضل إلى مقام اليقين و قرنه به. و كذلك قال تعالى: «وَ جَعَلْنا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنا لَمَّا صَبَرُوا وَ كانُوا بِآياتِنا يُوقِنُونَ (السجدة: ٢٤). و أخبر النبي للّه: «إن من أوتي نصيبه منهما لم يسأل ما فاته». و أخبر عليه السلام: «إن الصبر كمال العمل و الأجر». فقال في حديث يرويه شهر بن حوشب الأشعري عن أبي أمامة الباهلي عن النبي صلّى الله عليه و سلم قال: «من أقلّ ما أوتيتم اليقين و عزيمة الصبر و من أعطى حظه منهما لم يبال ما فاته من قيام الليل و صيام النهار و لأن تصبروا على مثل ما أنتم عليه أحبّ إليّ من أن يوافيني كل امرئ منكم بمثل عمل جميعكم، و لكني أخاف أن تفتح عليكم الدنيا بعدي فينكر بعضكم بعضا و ينكركم أهل السماء عند ذلك. فمن صبر و احتسب ظفر بكمال ثوابه»، ثم قرأ «ما عندكم ينفد و ما عند الله باق و ليجزينّ الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون». و في حديث ابن المنكدر عن جابر قال: سئل رسول الله عن الإيمان فقال: «الصبر و السماحة». و قد قال الله تعالى و هو أصدق القائلين: «أُولئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِما صَبَرُوا» (القصص ٥٤). و قال عزّ و جلّ: «إِنَّما يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسابٍ» (الزمر: ١٠). فضاعف أجر الصابرين على كلّ عمل ثم رفع جزاء الصبر فوق كلّ جزاء فجعله بلا نهاية و لا حدّ فدلّ ذلك أنه أفضل المقامات.

و جمع للصابرين ثلاثا فرقها على جمل أهل العبادات، الصلاة، و الرحمة، و الهدى بعد البشارة في الآخرة و العقبي.

و كان سهل يقول: الصبر تصديق الصدق و أفضل منازل الطاعة الصبر على المعصية ثم الصبر على الطاعة.

جلد ١، صفحات ٣٤٢-٣٤٣

الاصول العشرة، نجم الدين كبرى

قال الشيخ الإمام الأجل الزاهد العابد البارع الورع الفاضل الكامل سلطان الطريقة والحقيقة سيد الشهداء، نجم الدين الكبرى، قدس الله روحه: الطرق إلى الله تعالى بعدد أنفاس الخلائق، فطريقنا الذي نشرع في شرحه، أقرب الطرق إلى الله، وأوضحها وأرشدها. وذلك لأن الطرق مع كثرة عددها، محصورة في ثلاثة أنواع؛

- أحدها: طريق أرباب المعاملات، بكثرة الصوم والصلاة والزكاة والحج والجهاد وتلاوة القرآن، وغيرها من الأعمال الظاهرة؛ وهو طريق الأخيار، فالواصلون بهذا الطريق فى الزمان الطويل أقل من القليل.
- وثانيها: طريق أصحاب المجاهدات والرياضات فى تبديل الأخلاق وتزكية النفس وتصفية القلب وتجلية الروح والسعى فيما يتعلق بعمارة الباطن؛ وهو طريق الأبرار، فالواصلون بهذا الطريق أكثر من ذلك الفريق، ولكن الوصول من ذلك من النوادر . كما سَئَلَ ابن منصور – عن إبراهيم الخواص – في أي شيء تروض نفسك؟ قال: أروض نفسى فى مقام التوكل منذ ثلاثين سنة! فقال: أفنيت عمرك فى عمارة الباطن، فأين أنت من الفناء في الله.
- وثالثها: طريق السائرين إلى الله والطاهرين بالله، وهو طريق الشطار من أهل المحبة، السالكين بالجذبة، فالواصلون منهم فى البدايات أكثر من غيرهم في النهايات. فهذا الطريق المختار مبنى على الموت بالإرادات – كما قال النبي عليه السلام: «موتوا قبل أن تموتوا»

وهي محصورة في عشرة أصول:

أولها (التوبة): وهى الرجوع إلى الله بالإرادة، كما أن الموت رجوع بغير الإرادة، لقوله تعالى: «ارجعي إلى ربك...» وهي الخروج من الذنوب كلها؛ والذنب: ما يحجبك عن الله، من مراتب الدنيا والآخرة. فالواجب على الطالب، الخروج من كل مطلوب سوى الله؛ كما قيل: وجودك ذنب لا يقاس به ذنب.

وثانيها (الزهد في الدنيا): وهو الخروج من متاعها وشهواتها، قليلها وكثيرها، مالها وجاهها؛ كما أن الموت يُخرج منها. وحقيقة الزهد: أن يزهد في الدنيا والآخرة، قال النبي عليه السلام: الدنيا حرام على أهل الآخرة، والآخرة حرام على أهل الدنيا.. وهما حرامان على أهل الله.

وثالثها التوكل على الله: وهو الخروج من الأسباب والتسبّب بالكلية، ثقة بالله، كما هو بالموت. قال الله تعالى: ومن يتوكل على الله فهو حسبه.

ورابعها (القناعة): وهى الخروج من الشهوات النفسانية والتمتعات الحيوانية، كما هو بالموت؛ إلا ما اضطر من الحاجة الإنسانية، فلا يسرف في المأكول والملبوس والمسكن، ويقتصر على ما لا بد منه لقوته.

وخامسها (العزلة): وهى الرجوع عن مخالط الخلق، بالانزواء والانقطاع، كما هو بالموت؛ إلا عن خدمة شيخ واصل مرب له، وهو كالغسال للميت، فينبغى أن يكون بين يديه كالميت بين يدى الغسال، يتصرف فيه كما شاء؛ ليغسلة بماء الولاية عن جنابة الأجنبية ولوث الحدث. وأصل العزلة عزل الحواس بالخلوة عن التصرف فى المحسوسات، فإن كل آفة وفتنة وبلاء ابتلاء الروح بها؛ وكانت تقوية النفس وتربية صفاتها فيها، دخلت من روزنة الحواس.. وبها استتبعت النفس الروح إلى أسفل السافلين، وقيدته بها، واستولت عليه. فبالخلوة وعزل الحواس، منقطع مدد النفس عن الدنيا والشيطان، وإعانة الهوى والشهوة؛ كما أن الطبيب – في معالجة المريض يستعمل أولاً: الاحتماء لما يضره ويزيد فى علل مرضه؛ فينقطع بذلك عنه، مدد المواد الفاسدة التي ينبعث بها المرض.. وقد قيل: الحمية رأس كل دواء. ثم يعالجه بمسهل يزيل عنه المواد الفاسدة، وتتقوى به القوى الطبيعية والحرارة الغريزية، ليزول عنه المرض بدفع الطبيعة وتجدد الصحة . فالمسهل ههنا، بعد الاحتماء. وتنقية المواد، الذكر الدائم.

ص٩٠-٩٢

كتاب التعرف لمذهب أهل التصوف، كلاباذى

فِي التصوف مَا هُوَ

سَمِعت أَبَا الْحسن مُحَمَّد بن أَحْمد الْفَارِسِي يَقُول أَرْكَان التصوف عشرَة

أَولهَا تَجْرِيد التَّوْحِيد ثمَّ فهم السماع وَحسن الْعشْرَة وإيثار الإيثار وَترك الِاخْتِيَار وَسُرْعَة الوجد والكشف عَن الخواطر وَكَثْرَة الْأَسْفَار وَترك الِاكْتِسَاب وَتَحْرِيم الادخار

معنى تَجْرِيد التَّوْحِيد أَن لَا يشوبه خاطر تَشْبِيه أَو تَعْطِيل

وَفهم السماع أَن يسمع بِحَالهِ لَا بِالْعلمِ فَقَط وإيثار الإيثار أَن يُؤثر على نَفسه غَيره بالإيثار ليَكُون فضل الإيثار لغيره

وَسُرْعَة الوجد ان لَا يكون فارغ السِّرّ مِمَّا يثير الوجد وَلَا ممتلئ السِّرّ مِمَّا يمْنَع من سَمَاع زواجر الْحق

والكشف عَن الخواطر أَن يبْحَث عَن كل مَا يخْطر على سره فيتابع مَا للحق ويدع مَا لَيْسَ لَهُ

وَكَثْرَة الْأَسْفَار لشهود الِاعْتِبَار فِي الْآفَاق والأقطار

قَالَ الله تَعَالَى {أولم يَسِيرُوا فِي الأَرْض فينظروا كَيفَ كَانَ عَاقِبَة الَّذين كَانُوا من قبلهم} {قل سِيرُوا فِي الأَرْض فانظروا كَيفَ بَدَأَ الْخلق} قيل فِي قَوْله عز وَجل {قل سِيرُوا فِي الأَرْض} قَالَ بضياء الْمعرفَة لَا بظلمة النكرَة ولقطع الْأَسْبَاب ورياضة النُّفُوس وَترك الِاكْتِسَاب لمطالبة النُّفُوس بالتوكل وَتَحْرِيم الادخار فِي حَالَة لَا فِي وَاجِب الْعلم كَمَا قَالَ النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم فِي الَّذِي مَاتَ من أهل الصّفة وَترك دِينَارا...

جلد: ١ صفحه: ٩٠

ما المتصوف ومن الصوفي؟

أما المتصوف: فهو الذي يتكلف أن يكون صوفيًا ويتوصل بجهده إلى أن يكون صوفيًا، فإذا تكلف وتقمص بطريق القوم وأخذ به يسمى متصوفًا كما يقال لمن لبس القميص تقمص، ولمن لبس الدراعة تدرع، ويقال: متقمص ومتدرع، وكذلك يقال لمن دخل في الزهد: متزهد، فإذا انتهى في زهده وبلغ وبغضت الأشياء إليه وفنى عنها، فترك كل واحد منهما صاحبه، سمى حينئذ زاهدًا، ثم تأتيه الأشياء وهو لا يريدها ولا يبغضها، بل يمتثل أمر الله فيها، وينتظر فعل الله فيها، فيقال لهذا متصوف وصوفى إذا اتصف بهذا المعنى، فهو في الأصل صوفى على وزن فوعل، مأخوذ من المصافاة، يعني عبدًا صافاه الحق عز وجل، ولهذا قيل: الصوفى من كان صافيًا من آفات النفس، خاليًا من مذموماتها، سالكًا لحميد مذاهبه، ملازمًا للحقائق غير ساكن بقلبه إلى أحد من الخلائق.

وقيل: إن التصوف: الصدق مع الحق، وحسن الخلق مع الخلق.

وأما الفرق بين المتصوف والصوفى: فالمتصوف المبتدى، والصوفي المنتهى، المتصوف الشارع في طريق الوصل، والصوفى من قطع الطريق ووصل إلى من إليه القطع والوصل،

المتصوف محمل، والصوفى محمول، حمل المتصوف كل ثقيل وخفيف، فحمل حتى ذابت نفسه، وزال هواه، وتلاشت إرادته وأمانيه فصار صافيًا فسمى صوفيًا، فحمل فصار محمول القدر كرة المشيئة، مربى النفس، منبع العلوم والحكم، بيت الأمن والنور، كهف الأولياء والأبدال وموئلهم ومرجعهم ومتنفسهم ومستراحهم ومسرتهم، إذ هو عين القلادة درة التاج منظر الرب.

والمريد المتصوف مكابد لنفسه وهواه وشيطانه وخلق ربه ودنياه وأخراه، متعبد لربه عز وجل بمفارقة الجهات الست والأشياء وترك العمل لها وموافقتها، والقبول منها وتصفية باطنه من الميل إليها والاشتغال بها، فيخالف شيطانه، ويترك دنياه، ويفارق أقرانه وسائر خلق ربه بحكمه عز وجل لطلب أخراه، ثم يجاهد نفسه وهواه بأمر الله عز وجل فيفارق أخراه، وما أعد عز وجل لأوليائه فيها من جنة لرغبته في مولاه، فيخرج من الأكوان فيصفى من الأحداث ويتجوهر لرب الأنام، فتنقطع منه العلائق والأسباب والأهل والأولاد، فتنسد عنه الجهات، وتنفتح في وجهه جهة الجهات، وباب الأبواب، وهو الرضا بقضاء رب الأنام، ورب الأرباب، ويفعل فيه فعل العالم بما كان وما هو آت، والخبير بالسرائر والخفيات، وما تتحرك به الجوارح، وما تضمره القلوب والنيات، ثم يفتح تجاه هذا الباب باب يسمى باب القربة إلى المليك الديان، ثم يرفع منه إلى مجالس الأنس،

ثم يجلس على كرسي التوحيد، ثم يرفع عنه الحجب ويدخل دار الفردانية، ويكشف عنه الجلال والعظمة، فإذا وقع بصره على الجلال والعظمة بقى بلا هو، فانيًا عن نفسه وصفاته، عن حوله وقوته وحركته وإرادته ومناه ودنياه وأخراه، فيصير كإناء بلور مملوء ماء صافيًا، تتبين فيه الأشباح، فلا يحكم عليه غير القدر، ولا يوجده غير الأمر فهو فانٍ عنه وعن حظه، موجود لمولاه وأمره، لا يطلب خلوة لأن الخلود للموجود، فهو كالطفل لا يأكل حتى يطعم، ولا يلبس حتى يلبس، فهو مسترسل مفوض {ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال} [الكهف: ١٨]. هو كائن بين الخليقة بالجسمان، بائن عنهم بالأفعال والأعمال والسرائر والضمائر والنيات، فحينئذ يسمى صوفيًا، على معنى أنه يصفى من التكدر بالخيقة والبريات، وإن شئت سميته بدلاً من الأبدال، وعينًا من الأعيان، عارفًا بنفسه وربه، الذي هو محيي الأموات، المخرج أولياءه من ظلمات النفوس والطباع والأهوية والضلالات إلى ساحة الذكر والمعارف والعلوم والأسرار ونور القربة، ثم إلى نوره عز وجل: {الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة} [النور:٣٥] {الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور} [البقرة: ٢٥٧] فالله تعالى تولى إخراجهم من الظلمات، وهو عز وجل أطلعهم على ما أضمرت قلوب العباد، وانطوت عليه النيات، إذ جعلهم ربي جواسيس القلوب والأمناء على السرائر والخفيات، وحرسهم من الأعداء في الخلوات والجلوات، لا شيطان مضل ولا هوى متبع يميل بهم إلى الضلالات، قال الله عز وجل: {إن عبادي ليس لك عليهم سلطان} [الحجر: ٤٢، والإسراء: ٦٥] ولا في نفس أمارة بالسوء، ولا شهوة غالبة متبعة تدعوه إلى اللذات المردية في الدركات المخرجة من أهل السنة والجماعات.

قال الله عز من قائل: {كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين} [يوسف:٢٤] فحرسهم ربي، وقمع رعونات نفوسهم وضراوتها بسلطان الجبروت، فثبتهم في مراتبهم ووفقهم للوفاء بشرطه، بعد أن وفقهم للوفاء بالصدق في سيرهم، وبالصبر في محل انقطاعهم واضطرارهم، فأدوا الفرائض وحفظوا الحدود والأوامر، وألزموا المراتب حتى قوموا وهذبوا ونقوا وأدبوا وطهروا وطيبوا ووسعوا وزكوا وشجعوا وعوذوا، فتمت لهم ولاية الله وتوليته {الله ولي الذين آمنوا} [البقرة:٢٥٧]، وقوله تعالى: {وهو يتولى الصالحين} [الأعراف: ١٩٦]

جلد ٢، صفحات ٢٧٢-٢٧٤

كتاب عيوب النفس، أبو عبدالرحمن السلمي

عيوب النفس

وَمن عيوبها الْإِصْرَار على الذَّنب مَعَ تمني الرَّحْمَة ورجاء الْمَغْفِرَة ومداواتها أَن يعلم أَن الله أوجب مغفرته لمن لَا يصر على الذَّنب حَيْثُ قَالَ {وَلم يصروا على مَا فعلوا وهم يعلمُونَ} وَقَالَ أَبُو الضعض الْإِصْرَار على الذَّنب من التهاون بِقدر الله وَيعلم أَن الله تَعَالَى أوجب الرَّحْمَة للمحسنين وَأوجب الْمَغْفِرَة للتائبين حَيْثُ قَالَ {اسْتَغْفرُوا ربكُم ثمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ} {وَإِنِّي لغفار لمن تَابَ وآمن وَعمل صَالحا ثمَّ اهْتَدَى}.

وَمن عيوبها لَا تجيب إِلَى طَاعَة الله طَوْعًا ومداواتها بِالْجُوعِ والعطش والتقطع فِي الْأَسْفَار وَالْحمل على المكاره وَلذَلِك سَمِعت مَنْصُور بن عبد الله يَقُول سَمِعت عمي البسطامي يَقُول سَمِعت أبي يَقُول قَالَ رجل لأبي يزِيد البسطامي مَا أَشد مَا لقِيت فِي سَبِيل الله فَقَالَ لَا يُمكن وَصفه مَا أَهْون مَا لقِيت مِنْك نَفسك فِي سَبِيل الله فَقَالَ أما فَنعم دعوتها إِلَى شَيْء من الطَّاعَات فَلم تجبني طَوْعًا فمنعتها سنه كَامِلَة.

وَمن عيوبها حرصها على الْجمع وَالْمَنْع ومداواتها أَن يعلم انبهام عمره وَقرب أَجله فَيجمع على قدر نَفسه وَيمْنَع بِقدر حَيَاته فَمن لَا يَأْمَن على حُصُول التباعة على نَفسه جهل مَعَ مَا رُوِيَ عَن النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم أَنه قَالَ (أَيّكُم مَال وَارثه أحب إِلَيْهِ من مَاله فَقَالُوا لَيْسَ منا أحد إِلَّا وَمَاله أحب إِلَيْهِ من مَال وَارثه فَقَالَ مَالك مَا قدمت وَمَال وارثك مَا أخرت).

وَمن عيوبها صحبتهَا مَعَ الْمُخَالفين والمعارضين عَن الْحق ومداواتها الرُّجُوع إِلَى صُحْبَة الموافقين والمقبولين عِنْد الله تَعَالَى فَإِن النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم قَالَ (من تشبه بِقوم فَهُوَ مِنْهُم) وَقَالَ بعض السّلف صُحْبَة الأشرار تورث سوء الظَّن بالأخيار وَقَالَ بَعضهم الْقُلُوب إِذا بَعدت عَن الله مقتت القائمين بِحَق الله.

وَمن عيوبها الْغَفْلَة ومداواتها أَن يعلم أَنه لَيْسَ بمغفول عَنهُ وَأَن الله تَعَالَى يَقُول {وَمَا رَبك بغافل عَمَّا تَعْمَلُونَ} وَيعلم أَنه محاسب على الخطرة والهمة وَمن تحقق هَذَا فراقب أوقاته وراعى أَحْوَاله فيزول عَنهُ بذلك عيب الْغَفْلَة.

وَمن عيوبها ترك الْكسْب وَالْقعُود عَنهُ إِظْهَارًا لِلْخلقِ أَنه قعد متوكلا ثمَّ يتشرف للإرفاق ويتسخط إِذا لم يَأْته الإرفاق ومداواتها أَن يلْزم الْكسْب كَمَا روى عَن النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم أَنه قَالَ أطيب مَا أكل الرجل من كَسبه) ظَاهرا وتوكل بَاطِنا ليَكُون مكتسبا مَعَ الْخلق فِي الظَّاهِر ومتوكلا على الله فِي الْبَاطِن.

وَمن عيوبها الْفِرَار بِمَا يُوجِبهُ عَلَيْهِ ظَاهر الْعلم إِلَى الدَّعَاوَى وَالْأَحْوَال ومداواتها مُلَازمَة الْعلم فَإِن الله تَعَالَى يَقُول {فَإِن تنازعتم فِي شَيْء فَردُّوهُ إِلَى الله وَالرَّسُول}. ص٣١-٣٣

كتاب رياضة النفس، حكيم ترمذي

رياضة النفس

فكل من وقعت عليه جبايته واختياره له، وصبغ قلبه، أي غمس قلبه في ماء الرحمة حتى طهر به، وهو قوله عز وجل (صبغه الله ومن أحسن من الله صبغة) ثم أحياه بنور الحياة، وقد كان قبل ذلك بضعة من لحم جوفاء، فلما أحياه بنور الحياة وفتح عينيه اللتين على الفؤاد، ثم هداه بنوره، وهو نور التوحيد ونور العقل؛ فلما أشرق في صدره، واستقر الفؤاد وهو القلب إلى ذلك النور، فعرف ربه عز وجل بذلك، فذلك قوله عز وجل: (أو من كان ميتاً فأحييناه)، أي بنور الحياة، ثم قال تعالى: (وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس)، أي نور التوحيد يمشي من ذلك النور في الناس، ثم أوله قلبه بذلك النور إليه، حتى اطمأنت النفس وسكنت إلى أنه وحده لا إله غيره، فعندها نطق اللسان عن طمأنينة النفس وموافقتها للقلب بلا إله إلا الله، وذلك قوله عز وجل: (وما كان لنفس أن تؤمن إلا بإذن الله) وهو قوله عز وجل: (يا أيتها النفس المطمئنة)، فلما اطمأنت النفس حين رأت تلك الزينة التي زين العقل بين عيني الفؤاد توحيد الرب عز وجل، وجدت حلاوة الله تعالى، التي وردت على القلب مع نور التوحيد، فلما رأت تلك الزينة وجدت حلاوة الحب الذي في نور التوحيد، فعندها اطمأنت وسكنت إلى توحيده، فشهدت بلا إله إلا الله، وذلك قوله عز وجل: (حبب إليكم الإيمان وزينة في قلوبكم). فلما نالت تلك النفس الزينة كرهت الكفر والفسوق والعصيان، فالمؤمن إذا أذنب فإنما يعصى بالشهوة والنهمة وهو كاره للفسوق والعصيان، ومع الكراهية يفسق ويعصي بغفلة، ولا يقصد الفسق والعصيان كما قصد إبليس، فتلك الكراهية موجودة فيه، والشهوة غالبة عليه، والكراهية من أجل التوحيد الذي فيه، إلا أن القلب مقهور بما فيه، والعقل منكمن، والصدر ممتلئ من دخان تلك الشهوة، والنفس بما أوردت قاهرة للقلب، لأن العقل قد غاب، والمعرفة قد انفردت، والذهن قد تبدد، والحفظ مع العقل منكمن في الدماغ، والنفس قد قامت على ذنبها، بما وجدت من القوة في تلك الشهوة، والعدو يزين ويرجى ويمني المغفرة، ويدل على التوبة، حتى يجرئه قلباً ويشجعه.

فلما كان العبد بهذه الصفة، أمر بالمجاهدة، فقال عز وجل: (وجاهدوا في الله حق جهاده). ثم لما علم المجاهدة تشتد وتصلب على العباد، أخبرهم عن منته وحسن صنيعه، وبره ولطفه بهم فقال عز وجل: (وهو اجتباكم، وما جعل عليكم في الدين من حرج)، يعلمهم أنه لو لم يجتبهم، ولم يوقع اختياره عليهم، وما كانوا ينالون نور الرحمة ونور المعرفة، وكانوا أسارى في يد العدو، وحطباً للنار، فأخبرهم أنه اجتباهم، ثم قال عز وجل: (ما جعل عليكم في الدين من حرج). يعلمهم أني حين ألزمت جوارحكم أمري ونهي، لم أضيق عليكم حتى تحرجوا، بل أبحت لكم، ووسعت عليكم مالا يضيق عليكم، حتى تفزعوا إلى

الحرام، ولم أحملكم فرائضي حملاً تعجزون عنه، ووسعت لكم في كل فريضة ما لم يضيق عليكم، وكل شهوة منعتكم عنها، أطلقت لكم من بعضها، فوضعت على كل جارحة من هذه السبع حداً، ووكلتكم بحفظها. والجوارح السبع هي اللسان، والسمع، والبصر، واليدان، والرجلان، والبطن، والفرج، وجعلت مستقر هذه الشهوة في البطن، فإن اشتهى الكلام خرج سلطان تلك الشهوة إلى الصدور إلى القلب، والقلب أمير على هذه الجوارح، فإذا غلب سلطان الشهوة وحلاوتها ولذتها على القلب،وانكمن سلطان المعرفة وحلاوتها ولذتها في القلب، وسلطان العقل وزينته وبهجته في الدماغ، تحير الذهن عن التدبير، وخمد نور العلم في الصدر، فظهرت المعصية على الجوارح؛ وإذا غلب سلطان المعرفة ولذتها وحلاوتها، وسلطان العقل وزينته وبهجته، احتد الذهن، واستنار العلم، وانتشر وأشرق، وقوى القلب، فقام منتصباً متوجهاً بعين فؤاده إلى الله تعالى، وجاء المدد والعطاء، وظهرت العزيمة على ترك المعصية العارضة فإذا ظهرت العزيمة وجد القلب قوة على زجر النفس، ورفض ما عزمت عليه، فانقمعت النفس وذابت، وسكن غليان الشهوة، وماتت اللذة، وسكنت العروق، ودست صورة تلك المعصية عن الصدر، وتخلص العبد.

ص٣٤-٣٧

الْخِصَال الَّتِي يطْلب مِنْهَا الْخَيْر

وطالب الْخَيْر لَا يَسْتَغْنِي عَن خمس خِصَال سوى مَا يحْتَاج فِيهِ الى علم حُدُود الاعمال واحكامها وادائها الى الله تَعَالَى خَالِصَة مخلصة مشوبة بِالصّدقِ كَمَا امْر وَفرض وَسن فِي الاوقات الَّتِي امْر وَفرض صَاحب الْخَيْر الْعَامِل بِهِ لَا يَسْتَغْنِي عَن الصدْق وَالصَّوَاب وَالشُّكْر والرجاء وَالْخَوْف.

الصَّوَاب: اما الصَّوَاب فَالسنة وَالسّنة لَيْسَ بِكَثْرَة الصَّلَاة تدْرك وَلَا بِكَثْرَة الصّيام وَالصَّدَقَة وَلَا بِالْعقلِ والفهم وَلَا بِغَرَائِب الْحِكْمَة وَلَا بالبلاغ وَالْمَوْعِظَة وَلَكِن بالاتباع والاستسلام لكتاب الله عز وَجل وَسنة رَسُوله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم والائمة الرَّاشِدين من بعده وَلَيْسَ شَيْء اشد تُهْمَة وَلَا اكثر ضَرَرا على السّنة من الْعقل فَمَتَى اراد العَبْد ان يسْلك سَبِيل السّنة بِالْعقلِ والفهم خالفها واخذ فِي غير طريقها

الصدْق: واما الصدْق فَفِي اربعة اشياء: تعْمل الْعَمَل ثمَّ لَا تُرِيدُ على ذَلِك جَزَاء وَلَا شكُورًا الا من الله تَعَالَى وَلَا تبطله بالمن والاذى وَمِنْه صدق اللِّسَان فِي الحَدِيث وَقد يصدق فِي حَاله بِلِسَانِهِ وَهُوَ عَاص لله تَعَالَى فِي صدقه وَهُوَ المغتاب والنمام

الشُّكْر: واما الشُّكْر فمعرفة الْبلوى فَإِذا عرف ان كل نعْمَة فَهِيَ من الله لَا غَيره وانما هِيَ بلوى يختبر بهَا عَبده شكر ام كفر وكل سوء صرف عَن العَبْد فَالله تَعَالَى صرفه ليشكره عَبده اَوْ يكفره فَهَذَا من الشُّكْر. فَإِذا عرف العَبْد هَذَا انه من الله وعده من نعمه عَلَيْهِ وَلم يدْخل فِيهِ احدا نَفسه لَا غَيرهَا فقد شكره فالشكر متفاوت وَالنَّاس فِيهِ متباينون متصاعدون وَهَذَا ادناه واما اعلاه فَلَا يبلغهُ أحْدُ وَلَيْسَ لَهُ حد. وَمِنْه ايضا وَهُوَ يشبه مَا وَصفنَا الا انه اصل الشُّكْر ان يعرف العَبْد ان مَا بِهِ من نعْمَة فَمن الله بِقَلْبِه علم يَقِين لَا تخالطه الشكوك فَإِذا عرف بِقَلْبِه ذَلِك ذكره بِلِسَانِهِ فحمده عَلَيْهِ ثمَّ لم يستعن بِشَيْء من نعم الْمُنعم على شَيْء مِمَّا يكره الْمُنعم واعلا من ذَلِك من الشُّكْر ان تعد كل بلَاء نزل بك نعْمَة لَان لله من الْبلَاء مَا انزله بغيرك اشد واعظم من الَّذِي انزله بك وَالنَّاس يَحْتَاجُونَ عِنْد ذَلِك الى الصَّبْر وَهُوَ قَائِم بالشكر

الرَّجَاء: واما الرَّجَاء فَهُوَ ان ترجو قبُول الاعمال وجزيل الثَّوَاب عَلَيْهَا وَتخَاف مَعَ ذَلِك ان يرد عَلَيْك عَمَلك اَوْ يكون قد دَخلته آفَة أفسدته عَلَيْك. والراجون ثَلَاثَة: رجل عمل حَسَنَة وَهُوَ صَادِق فِي عَملهَا مخلص فِيهَا يُرِيد الله بهَا وَيطْلب ثَوَابه فَهُوَ يَرْجُو قبُولهَا وثوابها وَمَعَهُ الاشفاق فِيهَا وَرجل عمل سَيِّئَة ثمَّ تَابَ مِنْهَا الى الله فَهُوَ يَرْجُو قبُول تَوْبَته وثوابها ويرجو الْعَفو عَنْهَا وَالْمَغْفِرَة لَهَا وَمَعَهُ الاشفاق الا يُعَاقِبهُ عَلَيْهَا واما الثَّالِث فَهُوَ الرجل يتمادى فِي الذُّنُوب وَفِيمَا لَا يُحِبهُ لنَفسِهِ وَلَا يحب ان يلقى الله بِهِ ويرجو الْمَغْفِرَة من غير تَوْبَة وَهُوَ مَعَ ذَلِك غير تائب مِنْهَا وَلَا مقلع عَنْهَا وَهُوَ مَعَ ذَلِك يَرْجُو فَهَذَا يُقَال لَهُ

مفتر مُتَعَلق بالرجاء الْكَاذِب والاماني الكاذبة والطمع الْكَاذِب. وَالْقِيَام على هَذَا يقطع مواد عَظمَة الله من قلب العَبْد فيدوم اعراضه عَنهُ ويأنس بِجَانِب مكر الله ويأمن تَعْجِيل الْعقُوبَة وَهَذَا هُوَ المفتر المخدوع المستدرج واما امثالنا من النَّاس فَيَنْبَغِي ان يكون الْخَوْف عِنْدهم اكثر من الرَّجَاء لَان الرَّجَاء الصَّادِق انما يكون على قدر الْعَمَل بالطاعات.

ص٦٥-٦٩

كتاب جامع الأسرار و منبع الأنوار، سيد حيدر آملى

في بيان الشريعة و الطريقة و الحقيقة

اعلم انّ هذه القاعدة مشتملة على بيان الشريعة و الطريقة و الحقيقة. و الغرض منه أنّه لما كان أكثر أهل الزمان، من خواصّهم و عوامّهم، (يدّعون) أنّ الشريعة خلاف الطريقة، و الطريقة خلاف الحقيقة، و يتصوّرون أنّ بين هذه المراتب مغايرة حقيقيّة، و ينسبون الى كلّ طائفة منهم ما لا يليق بهم، خصوصا الى طائفة الموحّدين المسمّاة بالصوفيّة، و كان سبب ذلك عدم علمهم بحالهم و قلّة الوقوف على أصولهم و قواعدهم،- (فأردت) أن أبيّن لهم الحال على ما هو عليه، و أكشف.

و إذا تحقّق هذا، فاعلم أنّ الشريعة اسم موضوع للسبل أمره، و الطريقة أن تقوم بأمره، و الحقيقة أن تقوم به. و يشهد بذلك كلّه قول النبيّ- صلّى اللّه عليه و آله و سلّم- لحارثة، و هو انه قال «يا حارثة، كيف أصبحت؟ قال: أصبحت مؤمنا حقا. فقال- عليه السّلام: لكلّ حقّ حقيقة، فما حقيقة ايمانك؟ قال: رأيت أهل الجنّة يتزاورون، و أهل النار يتعاوون، طريقة. و الشرع شامل للكلّ، لانّ الشرع كاللوزة الكاملة المشتملة على اللبّ و الدهن و القشر.

فاللوزة بأسرها كالشريعة، و اللبّ كالطريقة، و الدهن كالحقيقة، كما قيل في صفة الصلاة أيضا: انّ الصلاة خدمة و قربة و وصلة. فالخدمة هي الشريعة، و القربة هي الطريقة، و الوصلة هي الحقيقة. و اسم الصلاة جامع للكلّ.

و عن هذا الكشف في المراتب المذكورة أخبر اللّه تعالى في كتابه ب «كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ، ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ»، لانّ (المرتبة) الاولى بمثابة الشريعة، و الثانية بمثابة الطريقة، و الثالثة بمثابة الحقيقة.

ثمّ أعلم أنّ الشريعة عبارة عن تصديق أفعال الأنبياء قلبا و العمل بموجبها؛ و الطريقة (عبارة) عن تحقيق أفعالهم و أخلاقهم فعلا و القيام بحقوقها؛ و الحقيقة (عبارة) عن مشاهدة أحوالهم ذوقا و الاتّصاف بها، لانّ الاسوة الحسنة في قوله تعالى لَقَدْ كانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لا تتحقّق الا بها، أي برعاية هذه المراتب على ما هي عليه، صاحبى، و التوكّل ردائى، و القناعة كنزي، و الصدق منزلى، و اليقين مأواى، و الفقر فخرى، و به افتخر على ساير الأنبياء و المرسلين». فكلّ من أراد التأسّى بنبيّه على ما ينبغي، فينبغي أن يتّصف بمجموع هذه الأوصاف أو ببعضها بقدر استعداده، و لا ينكر على أحد من المتّصفين بها أصلا، لانّ مرجع الكلّ، و ان اختلفت أوضاعها، الى حقيقة واحدة التي هي الشرع النبوىّ و الوضع الهىّ، كما تقدّم تقريره.

و بالحقيقة هذه المراتب الثلاث (هي) مقتضيات مراتب اخرى، التي هي (بمثابة) الأصل (لها)، لانّ الشريعة بالحقيقة من اقتضاء الرسالة، و الطريقة من اقتضاء النبوّة، و الحقيقة من اقتضاء الولاية، لانّ الرسالة عبارة عن تبليغ ما حصل للشخص من طرف النبوّة، من الاحكام و السياسة و التأديب بالأخلاق و التعليم بالحكمة، و هذا عين الشريعة.

و النبوّة (عبارة) عن اظهار ما حصل له من طرف الولاية، من الاطّلاع على معرفة ذات الحقّ و أسمائه و صفاته و أفعاله و أحكامه لعباده، ليتّصفوا بصفاته و يتخلّقوا بأخلاقه، و هذا عين الطريقة. و الولاية عبارة عن مشاهدة ذاته و صفاته و أفعاله في مظاهر كمالاته و مجالى تعيّناته أزلا و أبدا، و هذا عين الحقيقة. و الكلّ راجع الى حقيقة واحدة التي هي حقيقة الإنسان المتّصف بها، أو الى شخص واحد كاولى العزم من الرسل، لانّهم كذلك.

و المراد انّ الشرع الإلهيّ و الوضع النبويّ حقيقة واحدة، مشتملة على هذه المراتب، أي الشريعة و الطريقة و الحقيقة. و هذه الأسماء صادقة عليها على سبيل الترادف باعتبارات مختلفة.

جلد: ١ صفحه: ٣٤٣-٣٥٣

كتاب فصوص الحكم، ابن عربى

الخطبة

أما بعد: فإني رأيت رسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله و سلم في مُبشِّرة أُرِيتُها في العشر الآخِر من محرم سنة سبع و عشرونَ و ستمائة بمحروسة دمشق، و بيده صلى اللَّه عليه و آله و سلم كتاب، فقال لي: هذا «كتاب فصوص الحكم» خذه و اخرج به إلى الناس ينتفعون به، فقلت: السمع و الطاعة للَّه و لرسوله و أولي الأمر منا كما أُمِرْنا. فحقَّقْتُ الأمنية و أخلصت النيَّة و جردت القصد و الهمة إلى إبراز هذا الكتاب كما حدَّه لي رسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله و سلم من غير زيادة و لا نقصان، و سألت اللَّه تعالى أن يجعلني فيه و في جميع أحوالي من عباده الذين ليس للشيطان عليهم سلطانٌ، و أن يَخُصَّني في جميع ما يرقمُهُ بَنَانِي و ينطق به لساني و ينطوي عليه جَناني بالإلقاء السُّبُوحي و النَّفْث الروحي في الرُّوعِ النفسي بالتأييد الاعتصامي، حتى أكون مترجماً لا متحكماً، ليتحقق من يقف عليه من أهلِ اللَّه أصحاب القلوبِ أنه من مقام التقديس المنزَّه عن الأغراض النفسية التي يدخلها التلبيس.

و من اللَّه أرجو أن أكون ممن أُيِّد فتأيد فتقيد و قيَّد، و حشرنا في زمرته كما جعلنا من أمته. فأول ما ألقاه المالك على العبد من ذلك:

فص حكمة إلهية في كلمة آدميَّة

لما شاء الحق سبحانه من حيث أسماؤه الحسنى التي لا يبلغها الإحصاء أن يرى أعيانها نَفْسَه في أمرٍ آخر يكون له كالمرأة، فإنه يظهر له نفسه في صورة يعطيها المحل المنظور فيه مما لم يكن يظهر له من غير وجود هذا المحل و لا تجلّيه له. و قد كان الحق سبحانه كله منه، ابتداؤه و انتهاؤه، «وَ إِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ»، كما ابتدأ منه. فاقتضى الأمرُ جلاء مرآة العالم، فكان آدم عينَ جلاء تلك المرآة (و كان) روح تلك الصورة، و كانت الملائكة من بعض قوى تلك الصورة التي هي صورة العالم المعبَّر عنه في اصطلاح القوم «بالإنسان الكبير».

فكانت الملائكة له كالقوى الروحانية و الحسية التي في النشأة الإنسانية. فكل قوة منها محجوبة بنفسها لا ترى أفضل من ذاتها، و أَنَّ فيها، فيما تزعم، الأهلية لكل منصب عالٍ و منزلة رفيعة عند اللَّه، لما عندها من الجمعية الإلهية مما الإلهي، و إلى جانب حقيقة الحقائق، و- في النشأة الحاملة لهذه الأوصاف- إلى ما تقتضيه الطبيعة الكلية التي حصرت قوابل العالم كله أعلاه و أسفله.

و هذا لا يعرفه عقل بطريق نظر فكري، بل هذا الفن من الإدراك لا يكون إلا عن كشف إلهي منه يُعرف ما أصل صور العالم القابلة لأرواحه. فسمّي هذا المذكور إنساناً و خليفة، فأما إنسانيته فلعموم نشأته و حصره.

فهو الإنسان الحادث الأزلي و النشء الدائم الأبدي، و الكلمة الفاصلة الجامعة، قيام الخليفة، و لا وقفت مع ما تقتضيه حضرة الحق من العبادة الذاتية، فإنه ما يعرف أحد من الحق إلا ما تعطيه ذاتُهُ، و ليس للملائكة جمعية آدم، و لا وقفت مع الأسماء الإلهية لتي تخصها، و سبحت الحق بها و قدسته، و ما علمت أن لله أسماءً ما وصل علمها إليها، فما سبحته بها و لا قدَّسته تقديس آدم. فغلب عليها ما ذكرناه، و حكم عليها هذا الحال فقالت من حيث النشأة: «أَ تَجْعَلُ فِيها مَنْ يُفْسِدُ فِيها»؟ و ليس إلا النزاع و هو عين ما وقع منهم. فما قالوه في حق آدم هو عين ما هم فيه مع الحق. فلو لا أن نشأتهم تعطي ذلك ما قالوا في حق آدم ما قالوه و هم لا يشعرون. فلو عرفوا نفوسهم لعلموا، و لو علموا لعُصِمُوا. ثم لم يقفوا مع التجريح حتى زادوا في الدعوى بما هم عليه من التسبيح و التقديس. و عند آدم من الأسماء الإلهية ما لم تكن الملائكة عليها، فما سبحت ربها بها و لا قدسته عنها تقديس آدم و تسبيحه.

جلد ١، صفحات ٤٧-٥١

كتاب فتوحات المكية، ابن عربى

تأملات في الحقيقة الوجودية

الحمد لله الذي أوجد الأشياء عن عدم و عدمه و أوقف وجودها على توجه كلمة لنحقق بذلك سر حدوثها و قدمها من قدمه و نقف عند هذا التحقيق على ما أعلمنا به من صدق قدمه فظهر سبحانه و ظهر و أظهر و ما بطن و لكنه بطن و أبطن و أثبت له الاسم الأول وجود عين العبد و قد كان ثبت و أثبت له الاسم الآخر تقدير الفناء و الفقد و قد كان قبل ذلك ثبت فلو لا العصر و المعاصر و الجاهل و الخابر ما عرف أحد معنى اسمه الأول و الآخر و لا الباطن و الظاهر و إن كانت أسماؤه الحسنى على هذا الطريق الأسنى و لكن بينها تباين في المنازل يتبين ذلك عند ما تتخذ وسائل لحلول النوازل فليس عبد الحليم هو عبد الكريم و ليس عبد الغفور هو عبد الشكور فكل عبد له اسم هو ربه و هو جسم ذلك الاسم قلبه فهو العليم سبحانه الذي علم و علم و الحاكم الذي حكم و حكم و القاهر الذي قهر و أقهر و القادر الذي قدر و كسب و لم يقدر الباقي الذي لم تقم به صفة البقاء و المقدس عند المشاهدة عن المواجهة و التلقاء بل العبد في ذلك الموطن الأنزه لا حق بالتنزيه لا أنه سبحانه و تعالى في ذلك المقام الأنزه يلحقه التشبيه فتزول من العبد في تلك الحضرة الجهات و ينعدم عند قيام النظرة به منه الالتفات أحمده حمد من علم أنه سبحانه علا في صفاته و علي و جل في ذاته و جلى و أن حجاب العزة دون سبحانه مسدل و باب الوقوف على معرفة ذاته مقفل إن خاطب عبده فهو المسمع السميع و إن فعل ما أمر بفعله فهو المطاع المطيع و لما حيرتني هذه الحقيقة أنشدت على حكم الطريقة للخليفة.

فهو سبحانه يطيع نفسه إذا شاء يخلقه و ينصف نفسه مما تعين عليه من واجب حقه فليس إلا أشباح خالية على عروشها خاوية و في ترجيع الصدى سر ما أشرنا إليه لمن اهتدى و أشكره شكر من تحقق أن بالتكليف ظهر الاسم المعبود و بوجود حقيقة لا حول و لا قوة إلا بالله ظهرت حقيقة الجود و إلا فإذا جعلت الجنة جزاء لما عملت فأين الجود الإلهي الذي عقلت فأنت عن العلم بأنك لذاتك موهوب و عن العلم بأصل نفسك محجوب فإذا كان ما تطلب به الجزاء ليس لك فكيف ترى عملك فاترك الأشياء و خالقها و المرزوقات و رازقها فهو سبحانه الواهب الذي لا يمل و الملك الذي عز سلطانه و جل اللطيف بعباده : الخبير الذي لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ.

جلد ١، صفحه ٢

تفسير سهل تستری

سورة البقرة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

الم ذلِكَ الْكِتابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدىً لِلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْناهُمْ يُنْفِقُونَ

قال سهل: الم، اسم الله عزَّ وجلَّ فيه معان وصفات يعرفها أهل الفهم به، غير أن لأهل الظاهر فيه معاني كثيرة، فأما هذه الحروف إذا انفردت، فالألف تأليف الله عزَّ وجلَّ ألف الأشياء كما شاء، واللام لطفه القديم، والميم مجده العظيم. قال سهل: لكل كتاب أنزله الله تعالى سر، وسر القرآن فواتح السور، لأنها أسماء وصفات، مثل قوله: «المص، الر، المر، كهيعص، طسم، حمسق» فإذا جمعت هذه الحروف بعضها إلى بعض كانت اسم الله الأعظم، أي إذا أخذ من كل سورة حرف على الولاء، أي على ما أنزلت السورة وما بعدها على النسق: «الر» و «حم» و «نون» معناه الرحمن . وقال ابن عباس والضحاك: «الم» معناه: أنا الله أعلم. وقال علي رضي الله عنه: هذه أسماء مقطعة، إذا أخذ من كل حرف حرف لا يشبه صاحبه فجمعن كان اسماً من أسماء الرحمن إذا عرفوه ودعوا به كان الاسم الأعظم الذي إذا دُعي به أجاب. وقال سهل: الم ذلِكَ الْكِتابُ الألف الله، واللام العبد، والميم مُحَمَّد صلّى الله عليه وسلّم كي يتصل العبد بمولاه من مكان توحيده واقتدائه بنبيه. وقال سهل: بلغني عن ابن عباس أنه قال: أقسم الله تعالى أن هذا الكتاب الذي أنزل على مُحَمَّد صلّى الله عليه وسلّم هو الكتاب الذي هو من عند الله تعالى فقال: الم ذلِكَ الْكِتابُ الألف الله، واللام جبريل عليه السلام، والميم مُحَمَّد صلّى الله عليه وسلّم، فأقسم الله تعالى بنفسه وجبريل ومُحَمَّد عليهما السلام. وقال: إن الله تعالى اشتق من اسمه الأعظم الألف واللام والهاء، فقال: إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعالَمِينَ (القصص: ٣٠) واشتق لهم اسماً من أسمائه فجعله اسم نبيه صلّى الله عليه وسلّم، وآخر من اسم نبيه آدم عليه السلام فقال: ذلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكافِرِينَ لاَ مَوْلى لَهُمْ (مُحَمَّد: ١١) إلاَّ الطاغوت أي الشيطان.

ومعنى: لاَ رَيْبَ فِيهِ أي لا شك فيه. هُدىً لِلْمُتَّقِينَ أي بياناً للمتقين، والمتقون هم الذين تبرؤوا من دعوى الحول والقوة دون الله تعالى، رجعوا إلى اللجا والافتقار إلى حول الله وقوته في جميع أحوالهم، فأعانهم الله ورزقهم من حيث لا يحتسبون، وجعل لهم فرجاً ومخرجاً مما ابتلاهم الله به. قال سهل: حول الله وقوته فعله، وفعله بعلمه، وعلمه من صفات ذاته. وحول العبد وقوته دعواه الساعة وإلى الساعة، والساعة لا يملكها إلاَّ الله تعالى، فالمتقون الذين يؤمنون بالغيب فالله هو الغيب ودينه الغيب، فأمرهم الله عزَّ وجلَّ أن يؤمنوا بالغيب وأن يتبرؤوا عن الحول والقوة فيما أمروا به ونهوا عنه اعتقاداً وقولاً وفعلاً ويقولوا

لا حول لنا عن معصيتك إلا بعصمتك، ولا قوة لنا على طاعتك إلاَّ بمعونتك، إشفاقاً منه عليهم، ونظراً لهم من أن يدعوا الحول والقوة والاستطاعة كما ادعاها من سبقت له الشقاوة، فلما عاينوا العذاب تبرؤوا من ذلك، فلم ينفعهم تبرؤهم حين عاينوا العذاب.

صفحات ٢٥-٢٦

تفسير روح البيان، اسماعيل حقى

تفسير سوره حديد

هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ

هُوَ الْأَوَّلُ السابق على سائر الموجودات بالذات والصفات لما انه مبدئها ومبدعها فالمراد بالسبق والاولية هو الذاتي لا الزمانى فان الزمان من جملة الحوادث ايضا وَالْآخِرُ الباقي بعد فنائها حقيقة او نظرا الى ذاتها مع قطع النظر عن مبقيها فان جميع الموجودات الممكنة إذا قطع النظر عن علتها فهى فانية

أول او أول بي ابتدا آخر او آخر بي انتها

بود ونبود اين چه بلندست و پست باشد و اين نيز نباشد كه هست

وَالظَّاهِرُ وجود الكثرة دلائله الواضحة وَالْباطِنُ حقيقة فلا يحوم العقل حول ادراك كنهه وليس يعرف الله الا الله وتلك الباطنية سوآء في الدنيا والآخرة فاضمحل ما في الكشاف من ان فيه حجة على من جوز إدراكه في الآخرة بالحاسة وذلك فان كونه باطنا بكنه حقيقته لا ينافي كونه مرئيا في الآخرة من حيث صفاته وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ لا يعزب عن علمه شيء من الظاهر والخفي فان عليم صيغة مبالغة تدل على انه تعالى تام العلم بكل شيء جليه وخفيه وفي هذا المقام معان اخر هو الاول الذي تبتدأ منه الأسباب والآخر الذي تنتهى اليه المسببات اى إذا نظرت الى سلسلة الموجودات المتكونة بعضها من بعض وجدت الله مبدأ تلك السلسلة ومنتهاها تبتدئ منه سلسلة الأسباب وتنتهى اليه سلسلة المسببات ولذا قالوا لا تعتمد على الريح في استواء السفينة وسيرها وهذا شرك فى توحيد الافعال وجهل بحقائق الأمور ومن انكشف له امر العالم كما هو عليه علم أن الريح لا يتحرك بنفسه بل له محرك الى أن ينتهى الى المحرك الاول الذي لا محرك له ولا يتحرك هو في نفسه ايضا بل هو منزه عن ذلك وعما يضاهيه والظاهر اى الغالب على كل شيء والباطن اى العالم بباطن كل شيء على أن يكون الظاهر من ظهر عليه إذا علاه وغلب والباطن من بطنه إذا علم باطنه ولم يرتضه الزمخشري لفوات المطابقة بين الظاهر والباطن حينئذ (وروى) عن أبى هريرة رضى الله عنه قال دخلت فاطمة بنت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فسألته خادما فقال لها عليه السلام ألا أدلك على ما هو خير لك من ذلك أن تقولى اللهم رب السموات السبع ورب العرش العظيم ربنا ورب كل شيء منزل التوراة والإنجيل والفرقان فالق الحب والنوى أعوذ بك من شر كل ذى شر أنت آخذ بناصيته أنت الاول فليس قبلك شيء وأنت الآخر فليس بعدك شيء وأنت الظاهر فليس فوقك شيء وأنت الباطن فليس دونك شيء اقض عنى الدين وأغنني من الفقر عنى بالظاهر الغالب والباطن العالم ببواطن الأشياء يعنى انه الغالب الذي يغلب كل شيء

ولا يغلب عليه فيتصرف فى المكونات على سبيل الغلبة والاستيلاء إذ ليس فوقه أحد يمنعه والعالم ببواطن الأشياء فهو الملجأ والمنجى يلتجئ اليه كل ملتجئ لا ملجأ ولا منجى دونه اى غيره وقال الامام احتج كثير من العلماء في اثبات أن الا له واحد بقوله هو الاول قالوا الاول هو الفرد السابق ولهذا لو قال أحد أول مملوك اشتريته فهو حر ثم اشترى عبدين لم يعتقا لان شرط كونه اولا حصول الفردية وهنا لم تحصل فلو اشترى بعد ذلك عبدا واحدا لم يعتق لان شرط الاولية كونه سابقا وهاهنا لم يحصل فثبت ان الشرط في كونه اولا أن يكون فردا فكانت الآية دالة على أن صانع العالم واحد فرد وايضا هو الاول خارجا لانه موجد الكل والآخر ذهنا كما يدل عليه براهين اثبات الصانع او بحسب ترتيب سلوك العارفين فاذا نظرت الى ترتيب السلوك ولا حظت منازل السالكين السائرين اليه تعالى فهو آخر ما يرتقى اليه درجات العارفين وكل معرفة تحصل قبل معرفته فهى مرقاة الى معرفته والمنزل الأقصى هو معرفة الله فهو آخر بالاضافة الى السلوك في درجات الارتقاء في باب المعارف وأول بالاضافة الى الوجود الخارجي فمنه المبتدأ اولا واليه المرجع آخرا وقال بعض الكمل هو الاول باعتبار بدء السير نزولا والآخر باعتبار ختم السير عروجا والظاهر بحسب النظر الى وجود الحق والباطن بحسب النظر الى وجود الخلق وهذا ما قالوا ان ظاهر الحق باطن الخلق وباطن الخلق ظاهر الحق لان الهوية برزخ بينهما لا يبغيان وبالنظر الى الحق هوية الهية وبالنظر الى الخلق هوية كونية وهذه مرتبة قاب قوسين وفوقها مرتبة او أدنى.

جلد ٩، صفحات ٣٤٦-٣٤٧